الجدل الفِـرِّيسي اليسوعــي – قراءة في نصوص الأناجيل الأربعة–

The Jesuit Pharissees Controversy –reading in the four Gospels-

راوية زعموشي[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
rawzamo@yahoo.com
أ.د لمير طيبات
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

تاريخ الوصول: 2018/10/05/ القبول:2019/03/06/ النشر على الخط:2019/03/15
Received:05/10/2018 / Accepted:06/03/2019 / Published online: 06/03/2019

ملخص البحث باللغة العربية:

يسلط هذا البحث الضوء على بدايات الانفصال اليهودي عن المسيحية ، والذي كان من مظاهره الجدل الذي قاده الفريسيون ضد يسوع، وتمحور هذا الجدل حول أربعة أنواع لاحظناها من خلال نصوص الأناجيل الأربعة، وهي: الجدل الشخصي المتعلق بشخص يسوع، الجدل العقدي المتعلق باللاهوت المسيحي، الجدل الفقهي المتمثل في التشريعات التوراتية، و الجدل السياسي المتعلق بالسلطة الرومانية، وقد توصلنا من هذا الجدل إلى عدّة نتائج ايجابية وسلبية كان أثرها على الطرفين، الفرّيسي و اليسوعي خصوصا، وعلى علاقة اليهودية بالمسيحية عموما.

الكلمات المفتاحية: الفريسيين ، يسوع، الأناجيل الأربعة، الجدل اليهودي المسيحي، اليهود، الفرق اليهودية

Summary : This research highlights the begining of the jewish separation from Christianity wich was manifestation of the controversy led by the Pharisees against Jesus, this debat focuses on four types that we have abserved through the texts of the four Gospels, the personal debate concerning the person of jesus ; the doctrinal debate concerning Christian theology, the legal debate concerning biblical legislation, the political controversy concerning Roman power, we have come from this debate to sevral positive and negative results had an impacts on the pharisees and the Jesuit especially and the relationship of Judaism to Christianity in general .

Key Words : the Phasisees , Jesus , the four Gospels ,jewish-Christian controversy, the jews, jewish parties

[1] –المؤلف المرسل: راوية زعموشي، البريد: rawzamo@yahoo.com

المقدمة:

إن أي قارئ للإنجيل لديه خلفية مسبقة عن المسيحية كدين محبة، وعن يسوع كشخصية رئيسية في الإنجيل، نموذجية، مثالية، و جد متسامحة ومسالمة، يلفت نظره واهتمامه اللهجة الشديدة القسوة التي خاطب بها يسوع فرقة الفريسيين، مما يجعلنا نتساءل عن سبب هذا التصعيد الشديد ضدهم من طرف يسوع، الذي يبدو أنه لم يكن صراع يسوعي يهودي، بل يسوعي فرّيسي، لكن من جهة أخرى تلفت نصوص الأناجيل انتباهنا إلى أن هذا الصراع كان بمبادرة فرّيسية ، فكثيرا ما تورد أن الفريسيين هم من كانوا دائما المبادرين والسباقين لطرح الأسئلة على المسيح وخلق الإشكالات، ما يعني أننا أمام نوعين من الجدل؛ جدل يسوعي ضد الفريسيين، وجدل فريسي ضد يسوع، و يعنينا هنا النوع الثاني، لأن الأول كان ردّة فعل طبيعية على الثاني، فما هي المواضيع والمجالات التي أثارت جدل الفرّيسيين ضد يسوع؟ و ما هي تداعيات ونتائج هذا الجدل على الطرفين؟ و كيف نفسّر هذا الجدل في ظل تصريح يسوع من البداية "ما جئت لأنقض ولكن جئت لأتمم"؟

للإجابة عن هذه التساؤلات فنحن ملزمون بإلقاء نظرة على تاريخ الفرّيسيين و عقائدهم.

1/ نبذة تاريخية عن الفرّيسيين و عقائدهم

الفريسيون فرقة دينية وحزب سياسي يهودي، ظهرت في فترة الهيكل الثاني، وكان ظهورها بشكل بارز بعد الثورة الحشمونية حوالي (165-160 ق.م)، و من المحتمل أنهم خلفاء "الحسيديم"، كانوا من أوائل الفرق التي تحمّست لإحياء الشعائر اليهودية و تعليم التوراة، ينظر الفريسيون إلى أنفسهم على أنهم أتباع عزرا التقليديين الذين كانوا بعد موسى كمؤسس لليهودية، المحافظين على شرعية و صحة الشريعة الشفوية، التي تعتبر بالتوازي مع التوراة مصدرا لدينهم، حاولوا تكييف شرائع قديمة و جعلها تتلائم مع ظروف جديدة، يؤمنون بحرية الإرادة و القدر، و بالبعث بعد الموت، وبالثواب في الحياة وما بعد الموت، عرفوا في القرن الأول الميلادي بأنهم مؤمنون متدينون و مطبقون للشريعة، و بتعليمهم الاجتماعي لغالبية الشعب اليهودي، فحاولوا صبغ الجماهير بقداسة روحية ترتكز على التدقيق الشديد للتوراة عن طريق نشر التعليم الديني التقليدي[1].

كان أول ظهور للفريسيين كقوة قرنين بعد السبي البابلي في فترة الكفاح لإزالة الرقابة الدينية من طرف السلطة الوحيدة آنذاك المتكونة من الصدوقيين الأرستقراطيين، و يعزى تأسيس مفهوم العبادة في الهيكل إلى هذه الفترة، و ينظر إليه على أنه محاولة من الفريسيين لتقويض السلطة الممارسة من قبل الصدوقيين، فالاحتفالات في الأصل كانت جزءا من عبادة الهيكل و تم نقلها خارج

[1] - Fred Skolnik, Michael Berenbaum,Encyclopedia Judaica,second edition,(Thomson Gale, USA),v 16, p 30.

البيت، و بدأ تعليم الناس الذين ليسوا كهنة يلعب دورا مهما في الشؤون الدينية الوطنية، و في الوقت الذي أغرق فيه الكهنوت نفسه في جولة طقوس الهيكل أسس الفريسيون وظيفتهم الأساسية في الوعظ و تعليم شريعة الرب[1] لكن بما يتوافق و ما ورثوه عن قادتهم الأوائل لذا وصفهم يوسيفوس بأنهم "شديدوا التمسّك بتقليد معلميهم".[2]

انقسم الفريسيون إلى فئتين، الفئة الأولى عرفت بالتشدد وقادها في فترة يسوع الرابي "شماي"، أما الفئة الثانية فعرفت بالتساهل والسماحة و قادها الرابي "هليل"، وقد اختلفا في الكثير من المسائل التشريعية أوردها التلمود بين صفحاته.[3]

وبين هاتين الفئتين أورد التلمود سبعة أقسام للفريسيين:[4]

1/ الفريسيون المنحنون ظهورهم، وهم الذين يمشون منحني الظهر لثقل الوصايا التي يحملونها.

2/ الفريسيون الذين يحبون ربح الوقت؛ حيث يقولون: "امنحني لحظة سأذهب لأكمل تطبيق وصية".

3/ فرّيسيو الدم؛ وهم الذين نجد دماءهم على الحيطان لأنهم يمشون مطأطئي الرأس حتى لا يروا امرأة، فترتطم رؤوسهم بالحيطان.

4/ فريسي التوفير والاقتصاد الذي يقول: كم شيء صغير سأعمله من أجل إكمال عمل جيد؟ و كم يمكنني أن أربح أو أخسر إذا طبقت وصية؟.

5/الفريسيون الذين يقولون: ماهي الالتزامات التي أعرفها لأطبقها؟ و هم من الفريسيين الذين يطلبون من الناس أن يغفروا لهم ذنوبهم المكتوبة.

6/ فريسيو الرهبة الذين يتصرفون كأيوب.

7/ فريسيو المحبة الذين يعملون كإبراهيم.

و نشير إلى أن هذه التقسيمات كما تبدو تراعي الشكل والمظهر دون الجوهر، أي أنها تأخذ بعين الاعتبار تصرفات الفرد الفريسي اليومية كما تبدو لمن يعيش معه، و إن كانت هذه التصرفات قد لاقت نقدا كبيرا من طرف يسوع، الأمر الذي ساهم في تطور الجدل الفريسي ضده من خلال التطرق لعدة مواضيع قمنا بتصنيفها إلى أنواع.

---

[1]– Fred Skolnik, Michael Berenbaum, ibid, p 30.

[2]– Etienne Nodet, Essai sur les origines du judaisme : de Josué aux pharisiens, (les Editions du Cerf, Paris, 1992), p 211.

[3] – سامي حلاق اليسوعي، مجتمع يسوع تقاليده وعاداته، ط1 (دار المشرق–بيروت–1999)، ص 73.

[4] –L.Pirot , A.Robert et autres rechercheurs, Dictionnaire de la Bible (Letouzey et Ané éditeurs, Paris, 1966), p 1073, 1074.

2/ أنـواع الجدل الفريسي ضد يسوع

تعددت مواضيع الجدل الفريسي ضد يسوع، وقد رأينا أن نقسمها إلى أربعة أنواع رئيسية:

أولا: الجدل الشخصي

ونقصد به كل النقاش المتعلق بشخص يسوع كإنسان، و نجد هذا الجدل حول موضوعين تناولتهما نفس الآية، الأول يتعلق بنسبه الديني إلى طائفة السامريين، والثاني اتهام الفريسيين له بأن به شيطان، ، و كان جوابه عن هذا الاتهام الأخير أن نفاه نفيا قاطعا، لكنهم لم يصدقوه خاصة عندما أخبرهم بأن من يحفظ كلامه لن ير الموت "...أجابه اليهود ألسنا على صواب في قولنا إنك سامري، و إن بك مسّا من الشيطان؟ أجاب يسوع: ليس بي مس من الشيطان ولكني أكرم أبي و أنتم تهينوني أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم، الحق أقول لكم: من يحفظ كلامي لا ير الموت أبدا"، [1] أما جوابه عن نسبته للسامريين كان بالسكوت وعدم التعليق، فهل في هذا السكوت إشارة إلى أنه بالفعل ينتمي إلى هذه الطائفة؟.

ثانيا: الجدل العقدي

و نقصد به ما يندرج في إطار بعض الأمور الغيبية أو المتعلقة بشخص يسوع كرب كابن للرب، و بما يندرج تحت ما يسمى اليوم لاهوت مسيحي، و قد حاجج الفريسيون يسوع في عدة مواضيع من بينها:

-طلب رؤية آية: على الرغم من قيام يسوع بالعديد من المعجزات المعروفة إلا أن الفريسيين لم يقتنعوا بطبيعته الغير عادية، وطلبوا منه رؤية آية أو دليل أقوى، و قد كان جوابه أن آيته الحقيقية ستكون كآية يونان الذي لبث ثلاث ليال في بطن الحوت و لم يمت، مشيرا إلى مسألة قيامته "جيل فاسق فاسد يطالب بآية، ولن يعطى سوى آية النبي يونان، فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، فكذلك يبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال". [2]

يعلق (الخوري بولس الفغالي) على هذا بقوله أن الهدف الحقيقي للفريسيين من طلبهم رؤية آية ليس الإيمان، و إنما هم يسعون لوضع المسيح في موقف حرج يجعله يعجز عن الإجابة ويكون محل سخرية من الشعب[3].

-غفران الخطايا: استغرب الفريسيون في أنفسهم من يسوع مسألة غفران الخطايا، لأنهم يؤمنون بأن الله وحده من يغفر الخطايا، فكان جوابه بأن أقر ذلك و أجابهم "لماذا تفكّرون هذا التفكير في قلوبكم؟ فأيما أيسر؟ أن يقال: غفرت لك خطاياك، أم أن يقال: قم فامش، فلكي تعلموا أن ابن الإنسان له في الأرض سلطان يغفر به الخطايا، ثم قال للمقعد: أقول لك: قم

[1] - يوحنا 8: 48

[2] - متى 12: 39-40. أنظر أيضا: متى 16: 1، مرقس 8: 11.

[3] - الخوري بولس الفغالي، إنجيل متى: سر الملكوت، ط1 (الرابطة الكتابية، لبنان: 1998)، ج2، ص 479.

فاحمل سريرك واذهب إلى بيتك، فقام من وقته بمرأى منهم و حمل ما كان مضطجعا عليه ومضى إلى بيته و هو يمجّد الله، و قد غلب الخوف عليهم...".[1]

-**المسيح:** لم يصرّح يسوع بأنه المسيح قولا، و اكتفى بذلك فعلا، لذا سأله الفريسيون إن كان حقا هو المسيح فليقل هذا صراحة، فأجابهم المسيح بأنه قال ذلك فعلا عن طريق الأعمال التي يعملها باسم الآب لكنهم لا يؤمنون [2].

و نشير بهذا الصدد بأن الفريسيين لم يُذكروا صراحة باسمهم في هذا المقطع خصوصا وفي انجيل يوحنا عموما، وإنما ذكروا باسم "اليهود" *، و هو مصطلح "يستخدم للدلالة في آن واحد على السلطات اليهودية في زمن يسوع وفي فترة كُتّابه"[3]، وقد كان الفريسيون أكثر فئة لها سلطة آنذاك.

يستمر جدل الفريسيين مع يسوع في انجيل يوحنا، وفي هذا المقام نجد في الإصحاح السادس من انجيل يوحنا قضيتين أساسيتين في اللاهوت المسيحي تناولهما الفريسيون وهما:

-**بنوة المسيح والتناول،** يقول النص: "فتذمر اليهود عليه لأنه قال:" أنا الخبز الذي نزل من السماء، وقالوا: "أليس هذا يسوع ابن يوسف، ونحن نعرف أباه و أمه؟ فكيف يقول الآن: إني نزلت من السماء؟ فأجابهم يسوع: لا تتذمروا فيما بينكم ما من أحد يستطيع أن يقبل إليّ إلا إذا اجتذبه الآب الذي أرسلني، و أنا أقيمه في اليوم الآخر..." [4]. و برأي أن هذا التساؤل والاستغراب جد منطقي من قبل الفريسيين، فهم الذين شهدوا ميلاده و طفولته على هذه الأرض، ويعرفون أصله و فصله، لذا فإن في سؤالهم هذا استغراب كبير لقول يسوع بأنه نزل من السماء، وهو استفهام استنكاري، يدل على تناقض الحقيقة الأولى بأنهم يعرفون أباه و أمه و الفرضية الثانية بأنه نزل من السماء.

و لأن الشكلانية في التفسير و تأويل النص ظاهريا تتحكم دائما في فهمهم فقد استغربوا أيضا من المسيح قوله حول أكل جسده في إشارة إلى **التناول،** فتساءلوا "كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟ فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان و تشربوا دمه، فلن تكون فيكم الحياة، من أكل جسدي و شرب دمي، فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير..."[5].

---

[1] - لوقا 5: 22-26. انظر أيضا: لوقا 7: 39/ لوقا 15: 2.

[2] - يوحنا 10: 24.

* للمزيد من الأدلة التي تثبت أن المقصود بهذا المصطلح في انجيل يوحنا "الفريسيون" يرجى الرجوع إلى - L.Pirot , A.Robert et autres rechercheurs, Dictionnaire de la Bible

[3]- T.L.Hettema, A.Van Der Kooij, Religious Polemics in Context, (Van Gorcum, Leiden,Holland, 2004), p 315.

[4] - يوحنا 6: 41، 44

[5] - يوحنا 6: 52-54

ثالثا: الجدل الفقهي (القانوني):

ونقصد به ما تعلق بالجانب التشريعي، وقد نال الحظ الأوفر من جدل الفريسيين ضد يسوع، وتمحور هذا الجدل حول عدة مواضيع أهمها:

-السبت: يمكننا القول بعد إحصاء النصوص التي تتناول هذا الموضوع في الأناجيل الأربعة أن موضوع انتهاك حرمة السبت قد حظي باهتمام كبير و جدل كثير بين الفريسيين و يسوع، فمن المعروف أن السبت عند اليهود عموما هو يوم راحة و قد حرم العمل فيه، و قد شدّد عليه الفريسيون كثيرا لذا نراهم يعاتبون المسيح على انتهاكه حرمة السبت هو و تلاميذه، حيث يروي متى أن يسوع مرّ بزرع هو وتلاميذه و لما جاعوا أخذوا يأكلون السنبل، فقال الفريسيون ليسوع لما رأوهم:" ها إن تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت"[1] ، و لأن مصدر هذا الحكم التشريعي بحرمة ما يفعل تلاميذ يسوع مأخوذ من التوراة كما يظن الفريسيون فقد أجابهم يسوع من مصادرهم بالإشارة إلى ما قرؤوه في الشريعة مما فعله داود والكهنة، فداود أكل يوم السبت من الخبز الذي في المذبح، على الرغم من أنه لا يحل له ولا للكهنة، والكهنة خالفوا هذه الوصية لما قاموا بخدمة الهيكل يوم السبت[2]، وهذا أحد أنواع العمل، ورغم هذا لم يذنبهم الفريسيون، وقاموا بتذنيب المسيح وتلاميذه الذي ختم ردّه المنطقي بالإشارة إلى ضرورة تغليب القيم الإنسانية على كل ما في التشريع، فأشار إلى قيمة الرحمة و الإنسانية مراده الذي يسعى إليه فقال "إن ههنا أعظم من الهيكل ولو فهمتم معنى هذه الآية: إنما أريد الرحمة لا الذبيحة لما حكمتم على من لا ذنب عليهم فابن الإنسان سيد السبت".[3]

يبدو أن قائمة الأعمال المحرمة يوم السبت لدى الفريسيين قائمة تطول وتنقص على حسب أهوائهم، فنجدهم يجادلون المسيح مرة أخرى بسبب السبت، لكن هذه المرة كان حول أمر الشفاء، ولأن يسوع ببديهته أصبح يعلم كيف يفكرون وعمّ يسألون فقد بادر هذه المرة هو بالتبرير، حيث سألهم قبل أن يقدم على شفاء الرجل المشلول "أسألكم : هل يحلّ عمل الخير في السبت أم عمل الشرّ، وتخليص نفس أم إهلاكها؟" [4] ، و كأنه يشير بهذا التساؤل الذي يحمل جوابه إلى أنه كان أولى بالتشريع الذي حرم العمل يوم السبت أن يحرم عمل الشر وليس عمل الخير، و يضيف المسيح في موضع آخر من لوقا ما يدل على أنهم صاغوا قائمة الممنوعات على أهوائهم، وأنهم يأمرون الناس بفعل ما لا يفعلونه هم باسم الشريعة، وذلك لما اعترضوا على شفائه لامرأة منحنية الظهر "أيها المراؤون، أما يحلّ كل منكم يوم السبت رباط ثوره أو حماره من المذود، ويذهب به فيسقيه؟ وهذه ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان منذ ثماني عشرة سنة أفما كان يجب أن تحل من هذا الرباط يوم السبت" [5].

---

[1] - متى 12: 2

[2] - متى12: 3- 5. أنظر أيضا: مرقس 2: 23-26.

[3] - متى 12: 6-8.

[4] - لوقا 6: 9

[5] - لوقا 13: 15، 16

إن تحدي يسوع في الحقيقة من خلال هذا الجدل كان "هل هذا قانوني (شرعي)؟" هل هو متطابق مع التوراة؟ والفريسيون برروا ذلك بأنه ليس مطابقا للتوراة، فإذا فسر المسيح التوراة بمعنى آخر فهذا يعني أنها كانت قضيته بالأساس، ولن يكونوا أكثر تقبلا إذا كان محقا لأنه بدأ جولته بإثارة غضبهم، فعمله هذا كان له انعكاس لمهاجمة التوراة مهما كانت نيته[1].

-الطلاق:

ورد موضوع الطلاق في موضعين من الإنجيل، وفي كلا الموضعين يسأل الفريسيون يسوع عن شرعية الطلاق، و لا يأتي سؤالهم هذا كما يبين الإنجيل حبا في المعرفة، بل من أجل إحراج يسوع "...فدنا بعض الفريسيين و سألوه ليحرجوه هل يحل للزوج أن يطلّق امرأته، فأجابهم: بماذا أوصاكم موسى؟ قالوا إن موسى رخص أن يكتب لها كتاب طلاق و تسرّح، فقال لهم يسوع: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية، فمنذ بدء الخليقة جعلهما الله ذكرا و أنثى، ولذلك يترك الرجل أباه و أمه، و يلزم امرأته" [2]، ويكون بهذا يسوع قد ألغى الطلاق بعد أن أقره موسى على اعتبار أن هذا هو الأصل، وما كان قد شرعه موسى استثناء.

-رجم الزاني: عرف عن الفريسيين الكثير من التشريعات التي اجتهدوا في صياغتها دون أدنى مراعاة لجانب الرحمة والإنسانية، من بين هذه التشريعات الرجم كعقوبة لخطيئة الزنى، و يعتقد الفريسيون أن أصل هذه الشريعة يعود لموسى و هو الذي أوصاهم برجم من شهد عليه بهذا الذنب، لذا نجدهم حريصين كل الحرص على التطبيق الحرفي للوصية، و لما شهدوا على امرأة بذلك أتوا بها إلى يسوع كما يروي يوحنا " و قالوا له: يا معلم إن هذه المرأة أخذت في الزنى المشهود، وقد أوصانا موسى في الشريعة برجم أمثالها، فأنت ماذا تقول؟...قال لهم: من كان منكم بلا خطيئة، فليكن أول من يرميها بالحجر"[3] فأقر بذلك أن كل إنسان به خطايا، والزنى إحداها، فكيف نحاسب الناس على خطاياهم، ولا نحاسب أنفسنا، مصدرا بذلك عفوه عنها رحمة بها "اذهبي ولا تعودي بعد الآن إلى الخطيئة".[4]

- الأكل مع الخطاة و العشارون: نعلم جيدا أن فكرة الاختيار والاحساس بالفوقية عن باقي الشعوب ميزت الفكر الديني اليهودي أكثر من غيره، ويعدّ الفريسيون أكثر فئة يهودية شعرت بالتميّز والقداسة التي تجعلها أعلى مرتبة من باقي الناس، و هذا الشعور عزّز فيهم روح الانفصالية والانعزال عن من يرونهم خطاة ونلمس ذلك في جدلهم ليسوع حول أكله مع الخطاة والعشارين عن طريق سؤال تلاميذه "لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخاطئين؟ فسمع يسوع كلامهم فقال: " ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب بل المرضى"، فهلا تتعلمون معنى هذه الآية: "إنما أريد الرحمة لا الذبيحة" فهلا تتعلمون معنى هذه الآية إنما

[1] -Hereford, R.travers, Pharisaism its Aim and its Method, (Hard Press, 2016), p 83.

[2] - مرقس 10: 2-7. أنظر أيضا: متى 19: 3-10.

[3] - يوحنا 8: 4-5.

[4] - يوحنا 8: 11

أريد الرحمة لا الذبيحة، فإني ما جئت لأدع الأبرار، بل الخاطئين"،[1] و هم بمنعهم لكل اتصال بهذا النوع من الناس يجعلون محبة الله تقتصر على طبقتهم ومن يلونهم فقط[2]، وهذا ما حاربه يسوع الذي عرف بسماحته وتواضعه و تسامحه.

-عدم اتباع التقليد و عدم غسل الأيدي: عُرف عن الفريسيين أنهم أشد الفرق دفاعا عن تقليد حاخاماتهم ومعلميهم، كما عرف عنهم تمسّكهم الشديد بالتطبيق الحرفي لاجتهادات معلميهم الأوائل، التي جمعتها المشنا، لذا نجدهم يقفون في وجه كل من تجاوز الخروج عن تقليد شيوخهم حتى لو كان المسيح نفسه، لذا دنوا إلى يسوع قائلين: "لم يخالف تلاميذك سنة الشيوخ؟ فهم لا يغسلون أيديهم عند تناول الطعام، فأجابهم: لم تخالفون أنتم وصية الله من أجل سنتكم؟ " "فقد قال الله: أكرم أباك و أمك، ومن لعن أباه أو أمه فليمت موتا، وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه: كل شيء قد أساعدك به جعلته قربانا، فلن يلزمه أن يكرم أباه، لقد نقضتم كلام الله من أجل سنتكم".[3]

يقول (Lectio Divina) بأنه ليس هناك أي شك في أن الفريسيين درّسوا التقليد باعتباره التوراة الشفوية قبل التدمير الثاني للهيكل،[4] و لعل هذا هو سبب تشديدهم على اتباعه، لأنهم اعتبروه وحيا هم مطالبون بتطبيقه حرفيا كغيره من نصوص التوراة.

و ناهيك عن قضية الخروج عن تقليد الشيوخ ، نجد موضوعا آخر ميّز الفريسيين أكثر من غيرهم، وهو موضوع الطهارة الذي كان عدم غسل الأيدي أحد أوجهه التي رأيناها في النص السابق، و قد لاموا المسيح و تلاميذه على عدم غسل الأيدي قبل الأكل، ويفسر (John Bowker) هذا الاهتمام الكبير من قبل الفريسيين بهذا الموضوع بقوله "إن مبدأ غسل الأيدي كان جد مهما بالنسبة للحاخامات، لأنها كانت طريقة للتعبير عن هدف باتجاه القداسة مماثلة لطقوس القداسة في الهيكل" [5]، وهذا القول يعطينا تفسيرا رمزيا لمسألة غسل الأيدي من منظور الفكر الفريسي، ومن جانب آخر نتساءل فيما يتعلق بهذه القضية إن كان غسل الأيدي قبل الأكل عموما مجرد عادة إنسانية لا أكثر؟، فهل تشديد الفريسيين على أنه أمر تشريعي يجعلنا نشكّ في أنها من قبيل القضايا المتعلقة بالعادات والتي تم دمجها في الحياة الشخصية و عبادات الهيكل؟ وما جعلنا نطرح هذا السؤال هو تعليق (Fred Skolnik,) و (Michael Berenbaum) على هذا الموضوع في الموسوعة بقوله " إن الجدل بين الفصائل العلمانية و الكهنوتية في المجلس الأعلى و السنهدرين بخصوص تفسير التوراة عندما تتطلب القرارات أسئلة

[1] – متى 9: 10-13. انظر أيضا: مرقس 2: 16 و لوقا 5: 30 .

[2] – بولس باسيم، معجم اللاهوت الكتابي،(ط5، دار المشرق بيروت لبنان: 2005)، ص 604.

[3] – متى 15: 2، 6. أنظر ايضا: مرقس 7: 5 و لوقا 11 : 38.

[4] – Lectio Divina, Le Judaisme à l'aube de l'ère chrétienne, (Les Editions du Cerf, Paris, 2001), p 154.

[5]– John Bowker, Jesus and the Pharisees,(Cambrige University Press, NewYork, USA, 1973), p 39.

ناشئة عن الحياة اليومية، هذا أعطى للفريسيين الفرصة لدمج العادات الشعبية و التقاليد في عبادة الهيكل والحياة الدينية للشعب".[1]

وفي ردّ المسيح على هذه المسألة نجده يشدّد على ضرورة الطهارة الداخلية قبل الطهارة الخارجية، فيقول :

" أيها الفريسيون، إنكم تطهرون ظاهر الكأس و الصحفة، وباطنكم ممتلئ نهبا و خبثا"[2]، ويدل قول المسيح هذا على أن الفريسيين اهتموا بالطهارة الخارجية على حساب الطهارة الداخلية، والاثنين شكلا تناقضا ما كان يجب أن يكون، ولا نجد له ذكرا في روايات القرن الأول و هذا ما أكده (Daniel Margurat) بقوله: "التضاد بين الطهارة الطقوسية والطهارة الأخلاقية لم يكن مرويا في يهودية القرن الأول على عكس ما نجده لدى متى من شرح حول أفضلية الثانية.[3]

يستمر الجدل الفقهي في مواضيع أخرى لا يسعنا المقام هنا لذكرها بالتفصيل ومنها مسألة الصوم[4]، الشهادة[5]، وسؤال الفريسيون عن أعظم وصية في الناموس[6].

رابعا: الجدل السياسي

قد يكون من الغريب إدراج الجدل السياسي في أمر يسوع، لأنه كما هو متعارف فإن يسوع لم يكن مخلصا سياسيا بل مخلصا روحيا، وعلى الرغم من ذلك فقد لمحنا في أحد النصوص الجدلية مع الفريسيين، موضوعا سياسيا لم يقحم نفسه فيه، بل كان محاولة فريسية لإقحامه في السياسة والإيقاع به للوشاية به لدى "هيرود" كأفضل وسيلة متاحة للتخلص منه، تمثل هذا الموضوع في مسألة إعطاء الجزية لقيصر وقد صنفناه في إطار الجدل السياسي لأنه متعلق بمسألة لها دخل في علاقة الفرد بالحاكم، يقول النص: "فذهب الفريسيون وعقدوا مجلس شورى ليصطادوه بكلمة، ثم أرسلوا إليه تلاميذه والهيرودسيين يقولون له: "يا معلم، نحن نعلم أنك صادق، تعلم سبيل الله بالحق، ولا تبالي بأحد، لأنك تراعي مقام الناس فقل لنا ما رأيك: "أيحل دفع الجزية إلى قيصر أم لا؟" فشعر يسوع بخبثهم فقال: "لماذا تحاولون إحراجي، أيها المراؤون أروني نقد الجزية" فأتوه بدينار. فقال لهم: "لمن هذه الصورة وهذه الكتابة؟" قالوا: "لقيصر" فقال لهم: "أدوا إذا لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله" فلما سمعوا هذا الكلام تعجّبوا و تركوه وانصرفوا". [7] و كعادة المسيح فإن إجابته لم تكن كما كان يتوقع الفريسيون الذين حضّروا جيدا للسؤال على أمل أن

---

[1] – Fred Skolnik, Michael Berenbaum,Encyclopedia Judaica,(second edition,Thomson Gale, USA),v 16, p 30

[2] – لوقا 11: 39.

[3]– Daniel Margurat, L'aube du Christianisme,(Bayard Editions, Paris, 2008), p 348.

[4] – لوقا 5: 33.

[5] – يوحنا 8: 13.

[6] – متى 22: 34-36.

[7] – متى 22: 15-17.أنظر أيضا: مرقس 12: 13-17.

تكون الإجابة بلا أو نعم، لكنه أعطاهم إجابة جعلتهم ينصرفون متعجبين، ويكون بهذا قد أجابهم على سؤالهم من دون أن يوقع نفسه في عفن السياسة، و من دون أن يعرض حياته للخطر في ظل حكم هيرود .

3/ نتائج الجدل الفريسي اليسوعي:

أفرز الجدل الفريسي ضد يسوع نتائج مهمة ينبغي الإشارة إليها ، والتي نعتبرها في نفس الوقت نتائج هذه الورقة البحثية ، ومن أهمها نذكر:

– الجدل المضاد: ونقصد به جدل يسوع ضد الفريسيين كردة فعل لجدلهم حول المواضيع التي أوردناها سابقا، وتمثل ذلك في ردّه الشديد القسوة عليهم ووصفهم بالمرائين الذين يقولون ما لا يفعلون، و وصفهم بأولاد الأفاعي، و المهتمين بالمظاهر والشكليات[1]، ويظن (Lectio Divina) و (Kurt Schubert) أن نقد يسوع للفريسيين كان متعلقا بصفة أكثر بالخارج أكثر من المضمون، فمن جهة إن نقده كان يخص الجانب التطبيقي للفريسيين، ومن جهة أخرى إن هذا النقد جلب له مواجهة حقيقية بين تطبيقاته وتطبيقات الفريسيين ويمكن تلخيص هذه النقطة بالاستشهاد بما ورد في متى 23: 3 " فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه، لكن أفعالهم لا تفعلوا، لأنهم يقولون و لا يفعلون".[2]

– على الرغم من الحجج المنطقية التي قدمها يسوع في ردّه على الجدل الفريسي إلا أننا نلاحظ من خلال النصوص أن ردة فعل الفريسيين تدل على أن كلامه لم يغير منهم شيئا بدليل عدم اعترافهم نهائيا بالحجج الدامغة التي قدمها والتي عجزوا عن مناقشتها والرد عليها، بل ازدادوا تعنتا و تمسكا بآرائهم. و من الطبيعي جدا أن لا يحدث هذا التغيير لأن نيتهم في الأساس من هذه الجدالات لم تكن بغرض التعلم، بل بغرض الإيقاع به، لذا يقول عنهم الباحث (France Quéré)" إن اختصاص الفريسيين هو الفخ كما يبدو في بداية كل حلقة من خلال الفعل "جرّب" و أسئلتهم جد مدروسة" [3] للإيقاع بيسوع في هذا هذا الفخ. _المشاركة في التخطيط لموته: والتي بدأت بازدياد مشاعر الحقد من قبل الفريسيين ليسوع، و محاولتهم الإيقاع به والوشاية به لدى هيرود، وحسب (Lagrange) فنيتهم السيئة واضحة وتدل على أن قرار موت يسوع قد اتخذ، وبقي فقط البحث عن الأسباب القانونية للتنفيذ.[4]

[1] – متى 15: 7، 8، متى 12: 34، متى 23: 3، 27، 28، 5-7.

[2] – Lectio Divina, Kurt Schubert, Jésus a la Lumière du Judisme du premier siècle, trduite de l'Allemand par: A.Liefoogle,(les Editions du Cerf, Paris, 1974), p 62.

[3]– France Quéré, Les Ennemis de Jésus, (Editions du Seuil, Paris, France, 1985), p79 .

[4] – Lagrange, Memorial Lagrange,(J.Gabalda et G^{ie} 'Editeurs, Paris, 1940), p 286.

– يخلص يسوع من جدله مع الفريسيين بتلخيص فهمهم للدين بأنهم "قادة عميان"[1]، وتدل هذه العبارة على أنهم كانوا فاقدي البصيرة في التعامل مع المسائل الدينية وتطبيقاتها، وهو أمر خطير نظرا للمهمة والمسؤولية المكلفين بها بصفتهم قادة في المجتمع يأخذ الناس باجتهاداتهم.

– يظهر من رد فعل المسيح على الجدل الفريسي أنه تنكر لتعاليم التوراة ، لكن حسب (Lectio Divina) فإن تنكره هذا لم يكسر مبادئ القراءة اليهودية للتوراة، وعلى العكس من ذلك فإن الهيرمينيوطيقا المسيحية للقانون بحسب متى تثبت عموما تطابقا مع القانون اليهودي من حيث احترام القانون بنوعيه الأخلاقي والطقوسي وأصناف الوصايا، وهي متماثلة مع التفسير الفريسي لكن باستخدام معايير مختلفة [2]، و الدليل على ذلك أن الكثير من أقوال المسيح هي إعادة صياغة لأقوال و تعاليم الرابي هليل الذي يقول مثلا "ما تبغضه نفسك لا تعامل به جارك"،[3] و هي موافقة لتعاليم المحبة التي دعا إليها المسيح.

– طغيان الجدل القانوني الفقهي على حساب الأنواع الأخرى يدل على أمرين، أولهما أن الخلاف الأساسي بين الفريسيين ويسوع كان خلاف ديني فقهي تمحور حول مسألة فهم النصوص التوراتية، و الأخذ بتقليد الشيوخ، وثانيهما أن الفكر الفريسي كان فكر فقهي بامتياز، وشكّل القانون جزء مهم من بنيته الفكرية.

– غياب الجدل السياسي الذي لم نلمحه إلا في قضية إعطاء الجزية لقيصر يدل على أن الفريسيين آنذاك لم يكونوا مهتمين بالسياسة، وعلى أن يسوع المسيح أيضا كان بعيدا كل البعد عن القضايا السياسية.

– إن هذا الجدل الذي بدا فيه الفرق واضحا بين تعليم يسوع و تعليم الفريسيين كان مؤشرا للانفصال اليهودي المسيحي، وبداية تشكّل المسيحية الناشئة.

– إن طريقة ردّ يسوع وجوابه على أسئلة الفريسيين تؤكّد تصريحه الصادق الذي أعلنه من قبل على أنه "ما جاء لينقض الناموس ولكن ليتمم"، بدليل أنه لم يلغ التشريعات الفريسية إلغاء نهائيا، وإنما حاول تعديلها بإتمام النقص الذي تعاني منه، وهو مراعاتها لمبدأ الإنسانية، وقيم الرحمة والعدل والحب والتسامح.

قائمة المصادر والمراجع:

- **باللغة العربية والمعرّبة:**

1- العهد الجديد، ط13 (دار المشرق–بيروت–).

[1] – يوحنا 9: 40

[2] – Lectio Divina, Proces de Jéus Proces des juifs ?, (les Editions du Cerf, Paris, 1998), p 115.

[3] – ريتشاردلي و آخرون، الإرث المسيحي، أدلة مذهلة على السيد المسيح وعلى جمعية سرية لا تزال مؤثرة حتى اليوم، ترجمة: محمد الواكد، مراجعة وتدقيق: حسن الباش، (دار صفحات للنشر، سوريا دمشق،، 2009م) هامش الصفحة 78.

2- ريتشاردلي و آخرون، الإرث المسيحي، أدلة مذهلة على السيد المسيح وعلى جمعية سرية لا تزال مؤثرة حتى اليوم، ترجمة: محمد الواكد، مراجعة وتدقيق: حسن الباش، (دار صفحات للنشر، سوريا دمشق،، 2009م).
3- بولس باسيم ، معجم اللاهوت الكتابي، ط5 (دار المشرق بيروت لبنان: 2005).
4- بولس الفغالي ، إنجيل متى: سر الملكوت، ط1 (الرابطة الكتابية، لبنان: 1998)، ج2.
5- سامي حلاق اليسوعي ، مجتمع يسوع تقاليده وعاداته، ط1 (دار المشرق-بيروت-1999).

- **باللغات الأجنبية**

6- Lectio Divina, Proces de Jéus Proces des juifs ?, (les Editions du Cerf, Paris, 1998)
7- Lagrange, Memorial Lagrange,(J.Gabalda et G^{ie} ,Editeurs, Paris, 1940)
8- France Quéré, Les Ennemis de Jésus, (Editions du Seuil, Paris, France, 1985)
9- Lectio Divina, Kurt Schubert, Jésus a la Lumière du Judisme du premier siècle, trduite de l'Allemand par: A.Liefoogle,(les Editions du Cerf, Paris, 1974)
10- Daniel Margurat, L'aube du Christianisme,(Bayard Editions, Paris, 2008)
11- Fred Skolnik, Michael Berenbaum, Encyclopedia Judaica,(second edition,Thomson Gale, USA),v 16
12- John Bowker, Jesus and the Pharisees, (Cambrige University Press, NewYork, USA, 1973)
13- Lectio Divina, Le Judaisme à l'aube de l'ère chrétienne, (Les Editions du Cerf, Paris, 2001)
14- Hereford, R.travers, Pharisaism its Aim and its Method, (Hard Press, 2016)
15- T.L.Hettema, A.Van Der Kooij, Religious Polemics in Context, (Van Gorcum, Leiden,Holland, 2004)

16- L.Pirot , A.Robert et autres rechercheurs, Dictionnaire de la Bible (Letouzey et Ané éditeurs, Paris, 1966)

17- Etienne Nodet, Essai sur les origines du judaisme : de Josué aux pharisiens, (les Editions du Cerf, Paris, 1992)

18- Fred Skolnik, Michael Berenbaum,Encyclopedia Judaica,second edition,(Thomson Gale, USA),v 16